خطبة جمعة

أبو عبيده عامر بن الجراح

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإننا في هذا المقام سنتحدث عن صحابيّ جليل، إنه أبو عبيدة بن الجراح. قال الحافظ في "الإصابة": "مشهور بكنيته، وبالنسبة إلى جده".

هو أبو عبيدة عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشيّ، يجتمع في النسب مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في فهر.

وقد وردت في فضله ومناقبه – رضي الله عنه – آثارٌ كثيرةٌ:

١ . فمن ذلك أنه من السابقين الأولين، فقد انطلق جماعة من الرجال، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا، وذلك قبل دخول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دار الأرقم. وكان سنّ أبي عبيدة في ذلك الوقت سبعًا وعشرين سنة.

٢ . ومن ذلك أنه هاجر الهجرتين، الهجرة الأولى من مكة إلى الحبشة، والهجرة الثانية من مكة إلى المدينة.

٣ . ومن مناقبه أن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – كان يحبّه كثيرًا. وقد قال فيه – صلى الله عليه وسلم –: "نعم الرجل أبو عبيدة". رواه ابن سعد في "الطبقات" عن أبي هريرة.

٤ . ومن ذلك أن أبا عبيدة شهد غزوة بدر، وأهل بدر وردت فيهم فضائل كثيرة، وقد نزلت فيه آية، فقد أخرج الطبراني عن عبد الله بن شوذب بسند جيد كما قال الحافظ في "الإصابة". قال عبد الله بن شوذب: "كان والد أبي عبيدة يتصدّى لأبي عبيدة يوم بدر، وكان أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر عليه، قتله أبو عبيدة، فنزلت الآية: "لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله".

٥ . ومن مناقبه أنه شهد أُحُدًا، وأبلى يوم أحد بلاء حسنًا، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ضربة أصابته، خاف أن يؤلم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فتحامل على ثنيتيه فسقطتا، فما رأى أحسن هتما منه.

٦ . ومن مناقبه أنه شهد له النبي – صلى الله عليه وسلم – بالجنة.

٧ . ومن مناقبه أنه كان معدودًا فيمن جمع القرآن العظيم.

٨ . وسماه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أمين هذه الأمة. فقد روى الشيخان عن أنس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن لكلّ أمة أمينًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

وروى الشيخان عن حذيفة، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لأهل نجران: "لأبعثنّ إليكم رجلًا أمينًا حقّ أمين". فاستشرف لها أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبعث أبا عبيدة بن الجراح".

٩ . ومن مناقبه أنه أمّره النبيّ – صلى الله عليه وسلم – على جماعة فيهم أبو بكر وعمر. فقد روى موسى بن عقبة في "المغازي": أنه في غزوة ذات السلاسل لما خاف عمرو بن العاص من مشارف الشام، استمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فانتدب أبا بكر وعمر في سراة من المهاجرين، فأمر نبيّ الله عليهم أبا عبيدة، فلما قدموا على عمرو بن العاص قال: "أنا أميركم، فقال المهاجرون: "بل أنت أمير أصحابك"، وأميرنا أبو عبيدة". فقال عمرو بن العاص: "إنما أنتم مددٌ أُمددت بكم". فلما رأى ذلك أبو عبيدة بن الجراح، وكان رجلًا حسن الخلق، ليّن الشيمة، متّبعًا لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعهده، فسلّم الإمارة لعمرو بن العاص.

١٠ . أشار الصديق على الناس بتوليته الخلافة يوم السقيفة، حيث قال أبو بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة – وقت وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر، وأبا عبيدة".

وإنما قال الصديق ذلك لأنه كامل الأهلية عنده – رضي الله عنهم –.

قال عبد الله بن شقيق: سألت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: "من كان رسول الله مستخلفه لو استخلفه؟" فقالت: "أبوبكر"، فقيل لها: "ثم من بعد أبي بكر؟"، قالت: "عمر بن الخطاب"، ثم قيل لها: "من بعد عمر؟" قالت: "أبو عبيدة عامر بن الجراح"، ثم انتهت إلى ذلك. رواه أحمد، وأبو يعلى.

١١ . ومن مناقبه أن أكثر فتوحات الشام كانت على يده.

١٢ . وروى الحاكم في "المستدرك" أنه لما حصل الطاعون في الشام، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يقول: "إنه قد عرضت لي حاجةٌ، ولا غنى بي عنك فيها، فعجّل إليّ" أي: أنه يريد أن يرجع المدينة يخاف عليه من الموت. فلما قرأ الكتاب أبو عبيدة، قال: "عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق، فكتب إلى عمر: "إني قد عرفت حاجتك، فحلّلني من عزيمتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم"، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: "أمات أبو عبيدة ؟" قال: "لا". وكأن قد". أي: كأني به سيموت، قال: "فتُوفي أبو عبيدة، وانكشف الطاعون".

قال الحاكم: "رواته كلهم ثقات". وقال الذهبي في "المختصر": "هو على شرط البخاري ومسلم".

وأخرج ابن سعد بسند حسن كما قال الحافظ في "الإصابة" أن معاذ بن جبل يقول: "إن أبا عبيدة لمن خيرة من يمشي على الأرض".

وأخرج الحاكم في "المستدرك" عن أبي سعيد المقبري قال: "لما طعن أبو عبيدة قالوا: "يا معاذ صلّ بالناس فصلى، ثم مات أبو عبيدة، فخطب معاذ فقال في خطبته: "وإنكم فُجعتم برجل ما أزعم والله أني رأيت من عباد الله قطّ أقلّ حقدًا ولا أبرّ صدرًا، ولا أبعد غائلة، ولا أشدّ حياء للعاقبة ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه".

قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء: "وكان أبو عبيدة موصوفًا بحسن الخلق، وبالحِلم الزائد، والتواضع".

وكان رجلًا نحيفًا معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالًا أجنأ أثرم. قال أبو حفص عمرو بن علي الفلاس: "تُوفّي أبو عبيدة في سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة، وكان يخضب بالحناء، والكتم".

قال الحافظ في "الإصابة": "اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة وأرخه بعضهم سنة سبع عشرة وهو شاذ".

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء: "ومناقبه – رضي الله عنه – شهيرة جمّة".

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، أما بعد:

وروى عبد الله بن المبارك في "الزهد " عن عروة بن الزبير قال: قدم عمر الشام، فتلقّاه الأمراء والعظماء، فقال: "أين أخي أبو عبيدة ؟" قالوا: "يأتيك الآن"، قال: "فجاء على ناقة مخطومة بحبل"، فسلّم عليه، ثم قال للناس: "انصرفوا عنا"، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله، فقال له عمر: "لو اتخذت متاعًا، أو قال شيئًا، فقال: يا أمير المؤمنين ! إن هذا سيبلغنا المقيل".

وهذا إسناد منقطع، لكن يقوّيه مجيئه من وجه آخر عن ابن عمر: أن عمر حين قدم الشام، قال لأبي عبيدة: "اذهب بنا إلى منزلك"، قال: وما تصنع عندي ؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي". قال: "فدخل، فلم ير شيئًا، قال: "أين متاعك ؟" لا أرى إلا لبد أو صحفة، وشنًّا، وأنت أمير، أعندك طعام ؟" فقام أبو عبيدة إلى جونة، فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: "قد قلت لك: إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل". قال عمر: "غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة".

قال الذهبي في "السير": "وهذا والله هو الزهد الخالص، لا زهد من كان فقيرًا معدمًا".

أي: الزهد الحقيقي هو زهد الأمراء، لأنه قادر على الدنيا، لا زهد الفقراء لأنه عاجزٌ عن الدنيا.

فهؤلاء هم أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – الذين فتحوا الدنيا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فقارن بين هذه الحقائق، وبين قول بعض الأفاكين من المنافقين المعاصرين: عندما يقول: "إن هؤلاء بدوٌ غزاة طامعين".

إن الغزاة الطامعين هم النصارى الذين احتلّوا الدول الضعيفة لعقود من السنين، قتلوا فيها الرجال، ونهبوا فيها الخيرات، وشرّدوا فيها الناس، وصدّروا فيها الثروات إلى بلادهم في أوروبا، ليقيموا في بلادهم على أنقاض هؤلاء الشعوب حضارة يتفاخرون بها، فهؤلاء هم الغزاة الطامعين، أما أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد كانوا رحمة على الشعوب، وقد فتحوا البلدان بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم – رضي الله عنهم –.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم
وأقم الصلاة.